التداولية/ قراءة في المصطلح والمفهوم ومقوماتها

د. محمد عبد سالم
وزارة التربية/ مديرية تربية واسط
mmmmm67@gmail.com

ملخص البحث:

يتعرف البحث عمّا يحيط بمصطلح التداوليّة، ومفهومها من غموض، واختلاف في الأقوال، ويقرأ بعض مفاهيمها التي من شأنها إظهار أهمية التداوليّة، وقيمتها العلمية في الدرس اللساني.

فقد ترسم البحث المفاهيم اللغوية، والاصطلاحية للتداولية فضلاً عن مجال الاختلاف في تحديد المصطلح، وإشكالية ترجمته وموضوعات أخر في سياق البحث مما له صلة في بيان الأصول والمفاهيم والمقومات والمعايير التي ترتكز عليها مبادئها، ويستند إليها قوام عناصرها.

الكلمات المفتاحية: المصطلح، المفهوم، المقومات.

deliberative/ reading of the term and concept and its components

Dr. Mohammad Abed Salim
Wasit Education Directorate

Research summary:

The research identifies what surrounds the term pragmatic and its concept of ambiguity and difference in sayings and reads some of its concepts that would show the importance of pragmatics and its scientific value in the linguistic lesson in a statement of the assets, concepts and standards on which its principles are based and the strength of its elements is based.

Keywords: Term, concept, Ingredient

المقدمة:

كان لتداخل وتكامل الحقول المعرفية أثر كبير في انقسام الدرس اللسانيّ الى اتجاه شكليّ صوريّ تتزعمه البنيويّة يدرس اللغة على أنّها ظاهرة عقليّة، وآخر وظيفيّ تتزعمه التداوليّة، يرى أن اللغة هي ظاهرة اجتماعيّة، فيدرسها بالاتجاه الوظيفيّ التواصليّ أي: علاقة النشاط اللغويّ بمستعمليه.

فأخذ هذا الأخير أهمية كبيرة لدى الدارسين، واتضحت معالمه في البحث اللسانيّ، إذ ترسمت صوره، وبانت معالمه في بدايات القرن العشرين على يد بيرس وموريس، ونضج على يد أوستن فهو من العلوم اللسانية الغربيّة الذي ذاع وشاع، ثم تناولته أيدي الباحثين العرب، وكتبوا فيه وبحثوا حتى وجدوا أنّ له في التراث العربيّ منبعاً لاسيما الدراسات البلاغيّة، والنحويّة وغيرها في الأصول والتطبيقات عند الفقهاء والأصوليين.

وقد انقسم البحث على مبحثين الأول: عني بمفهوم مصطلح التداولية معززاً بمعايير تحديد المصطلح وترجمته.

والثاني: عني بمصادر انبثاقها و بمقوماتها والقيم العلمية للتداوليّة.

وقد استعان البحث بمصادر مختلفة منها الأجنبيّة المترجمة ومنها العربيّة والأطاريح والمجلات التي عززت البحث وقوّمته.

أهمية البحث:

لمّا كان الدرس التداوليّ في اتساع في كل يوم كان من الأهميّة الحاجة الى المزيد من الدراسات البحثية التي تقف على ماهية التداوليّة ومصطلحها ومفهومها، وما يرتبط بها من عناصر كاشفة عن مضمونها، ومستلزمات عملها، وبيان

مقوماتها و قيمتها العلميّة التي لها القدرة على حلّ كثير من الظواهر اللغويّة التي يعجز عنها البحث اللغويّ، فهي ذو أهميّة علميّة جديرة بالبحث والتنقيب، فجاء العمل بهذا السياق، ليكون واحداً من الدراسات في هذا الباب.

مشكلة البحث:

يسعى البحث للوقوف على مفهوم مصطلح التداوليّة بصورته الجليّة إذ تعددت مفاهيمه، وترجماته حتى أصبح مشكلة يقف عندها الباحث، لذا فإن الحاجة ملحّة للكشف عن مفهومه وما التبس على القارئ، زيادة على ذلك أن البحث قد وقف على بيان القيمة العلمية للتداولية التي قد شكك بعضهم بها إذ وصفت بأنها سلّة المهملات التي تلقى فيها بعض الظواهر اللغوية التي يعجز حلّها في سياق البحث اللغويّ.

الدراسات السابقة:

التداولية درس جديد من حيث زمانه إذ نشأ واشتد عوده في القرن العشرين، وأصبح علماً يشار إليه، وكثرت فيه الدراسات البحثية إذ نالت التداولية أهمية كبيرة في مجال الدرس اللسانيّ.

وقد تنوعت بين دراسات غربية حيث محلّ نشأتها فمنها لـ(يول، جورج، التداولية ترجمة: د. قصي العتابيّ، ٢٠١٠م) التي أشارت الى مفهوم المصطلح وتنوعه بما يتفق ومورد صدوره، ومصادر انبثاق الدرس التداولي، وأهم مباحثها.

ولـ(أرمينكو، فرانسوا، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، ١٩٨٦م) دراسة أبانت عن معنى كلمة التداولية لدى العلماء، وقرّر أنّ على التداوليّة أن تعيّن مهمتها في إدماج السلوك اللغويّ داخل نظريّة الفعل، وقد يدرسها آخر داخل التواصل، ويرى فريق أن التداولية هي علم الاستعمال ضمن السياق، ويشير الى توجهات العلماء بأن التداولية تظهر كإحدى مكونات السيميائية.

ومنها عربية إذ أبانت دراسة لـ(صحراوي، مسعود، التداولية عند علماء العرب، ٢٠٠٥م) عن التداولية ومفهومها وأنّها أقرب الى الحقل المعرفي اللسانيّ، وأعرب عن أن تنوع واختلاف مصادرها، وأنّ الفلسفة التحليلية هي المنبع الأول لها.

أمّا دراسة (هلال، عبير خزعل خلف، المباحث التداولية عند د. محمود أحمد نحلة، ٢٠١٦م)، فقد تناولت الدراسة المباحث التداوليّة وتضمنت مفهومها، وعرضت كثيراً من الحدود التي تناولها الباحثون، إذ تداخلت مع علوم اللغة الأخرى، ووجد أن أقربها وأوجزها هو دراسة اللغة في الاستعمال في التواصل. ولـ(حسناويّ، فضاء ذياب غليم، الأبعاد التداولية عند الأصوليين مدرسة النجف أنموذجاً، ٢٠١٦م) دراسة حدّدت مفهوم التداولية وأشارت الى ترجمة مصطلحها الأنسب وكشفت عن مصادر انبثاقها.

وأكدت دراسة(ختام، جواد، التداولية أصولها واتجاهاتها، ٢٠١٦م) على الاهتمام بالالتباس المصاحب للفظ التداولية، فعزاه الى تعدد المباحث و الروافد التي استقت منها، والاختلاف في وجهات النظر حول وضعها الاعتباري. وهناك دراسات أخرى نظّرت وأسّست لهذا العلم حتى اشتد عوده واستوى قائماً.

وقد أشارت هذه الدراسات الى مفهوم مصطلح التداولية ومقوماتها التي اعتمدها، إلّا أنّ ما أثاره البحث هو الوقوف على أهم الآراء العلمية التي قيلت في المصطلح، وبعض مفاهيم التداوليّة التي أعطت لها أهميتها، وأظهرت عناصر قوتها، وأثبتت قيمتها العلميّة في مجال الدرس اللسانيّ.

المبحث الأول: مفهوم مصطلح التداولية ومقوماته:

التداولية:لغة

جاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ت . ٣٩٥هـ) (دول) الدال والواو اللام أصلان أحدهما: يدل على تحويل شيء من مكان شيء الى آخر.... فقال أهل اللغة: اندال القوم إذا تحولوا من مكان الى مكان، ومن هذا الباب تداول القوم الشيء بينهم إذا صار بعضم الى بعض.(١)

ويظهر المعنى اللغوي لهذه اللفظة أنّها تعني تبادل الأخذ بين فريقين فمرّة لهذا ومرّة لذلك إذ جاء في معجم أساس البلاغة للزمخشري. دَوَلَ: دالت له لدولة ودالت الأيام بكذا وأدال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكرة لهم عليه (٢).

وجاء في لسان العرب، والقاموس المحيط تصريف (دول) هو يتداول تداولاً، ويقال: تداولنا الأمر أخذنا بالدول وقالوا دواليك: أي مداولة على الأمر، وتداولته الأيدي أخذته هذه مرّة وهذه مرّة، وتداولنا العمل بيننا بمعنى تعاوناه فعمل هذا مرّة وهذا مرّة (٣)

"وداول كذا بينهم جعله متداولاً تارة لهؤلاء، ويقال داول الله الأيام بين الناس أدارها وصرفها "(٤)

وقد ظهر هذا المعنى كما فسّر ابن كثير قوله تعالى "وتلك الأيام نداولها بين الناس"(٥)

إذ ذهب الى أن الأيام هي مداولة بينكم وبين الأعداء فمرّة لكم ومرّة لهم لحكمة الله في ذلك الأمر حيث يقول " أي نديل عليكم الأعداء تارة وإن كانت لكم العاقبة لما لنا في ذلك من الحكمة" (٦)

ومما يؤكد هذا الفهم في تفسير الآية قول السعدي: "ومن الحكم في ذلك من هذه الدار يعطي الله منها المؤمن والكافر والبر والفاجر فيداول الله الأيام بين الناس يوم لهذه الطائفة ويوم لطائفة أخرى" (٧)

"وهكذا نلاحظ أن مصطلح التداولية في المعاجم العربيّة لا يكاد معناه يخرج عن مفهوم التحول و الانتقال والتبادل وهذا ما يستدعي توفر طرفين على الساحة حتى يتم بينهما التبادل والتحول"(٨)

وقد انصرف المفهوم اللغويّ عند مصطلح التداولية الى معان أخرى منها: التناوب والنزاع والنصرة والتنقل.....(٩)

مفهوم التداولية الاصطلاحي:

تعد التداولية من الموضوعات الحديثة في مجال الدراسات اللغوية وقد كثر البيان في مفهومها الاصطلاحي وساد الاختلاف فيه وقد يعود ذلك الى تعدد مشاربها ومنابعها (فالتداولية نفسها عبارة عن مجموعة من النظريات نشأت متفاوتة من حيث المنطلقات ومتساوقة في النظر الى اللغة بوصفها نشاطات يمارس ضمن سياق محدد الأبعاد) (١٠)

ولمّا كانت نشأة هذا العلم غربية ارتأينا أن نذكر أهم ما آل إليه الباحثون الغربيّون في تحديد مفهوم التداولية ثم العروج الى الباحثين العرب وما ذكروه من تحديدات مستقاة من المنشأ الأول للتداولية فنبدأ برائدها ومؤسسها موريس الذي يقول في حدّها (بأنها العلاقة بين العلامات ومستخدميها فهي تهتم بعملية انتاج اللغة وبمنهجها وليس فقط بالنتاج نفسه أي اللغة (١١)

أما (هلل) فيقول: (بأنها دراسة الارتباط المهم لعملية التواصل في اللغة الطبيعية بالمتكلم والسامع اللغوي وبالمقام غير اللغوي وارتباطهما بوجود معرفة أساسية وبسرعة وجود تلك المعرفة (١٢)

ولاختصاص التداولية بتفسير الكلمات المنقوطة او المكتوبة من قبل المستمع أو القارئ وتحليل ألفاظ وعبارات ما يعنيه المتكلم أو الكاتب فإن جورج يول يحدّ التداولية "هي دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم "، وللسياق أثره في تفسير المعنى الذي يقصده المتكلم فلا بد من التمعن في الظروف المحيطة بالقول وأثرها في تفسير المعنى ومقصود المتكلم لذا يحدّ جورج يول التداولية في هذا المجال بأنها " دراسة المعنى السياقي "، ويتنبه جورج يول الى دراسة المعنى غير المرئي الذي لا يقوله المتكلم وعلى المخاطب أنه يفسر ما خفي من المعنى من ملابسات القول وفي هذا يحدّها بأنها " دراسة كيفية ايصال أكثر مما يقال" وكذا يحدّها بأنها " دراسة التعبير عن التباعد النسبي" بالنظرالى القرب المادي أو الاجتماعي أو المفاهيمي وبالنتيجة تكون التداولية عنده هي "دراسة العلاقات بين الصيغ اللغوية ومستخدمي هذه الصيغ" (١٣)

أما (فيرشون) فيضع تعريفاً شاملاً للأشياء الإنسانية بقوله " تدرس التداولية كل شيء إنساني في العملية التواصلية سواء كان نفسياً أو بايولوجياً أو اجماعياً" ويضع (لفنسن)تعريفاً أقل شمولاً من سابقه فيقول: "التداولية دراسة العلاقات بين اللغة والسياق كما هي مقعدة أو كما تعكسها بنية اللغة " (١٤)، ويذهب (آن ماري دبير) و(فرانسوا ريكاناتي) الى أن " التداولية

هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية وتهتم من هنا عند الآخرين بالمعنى كالدلالة وهي تهتم ببعض الأقوال اللسانيّة التي لا يتحدد معناها إلا من خلال استعمالها " أما (فراسيس جاك) فيقول " تتطرق التداولية الى اللغة كظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية معاً" (١٥)، ولـ(جيف فيرستشيرن) تعريفات عدّة تتماثل مع التعريفات السابقة وبخاصة تعريف (موريس) إذ يقول: "إننا نعني بالتداولية علم العلاقة بمؤوّليها فإنّه من التمييز الدقيق للتداولية" (١٦) أما (جيو فري ليتش) فيقول: "تدرس كيف أن ضروب التلفظ بالعبارات تكون لها دلالات في موافق معينة " (١٧)

أما مفهوم التداولية عند الباحثين العرب فقد تنوعت واختلفت في حدودها كما وجدنا ذلك عند الباحثين الغرب.فيقول طه عبد الرحمن بأنها"الدراسات التي تختص بوصف وإن كان تفسير العلاقات التي تجمع بين الدوال الطبيعية ومدلولاتها وبين الدالين بها وهي تعالج أبواباً هامة من البحث التواصليّ والتفاعليّ والإبلاغيّ نحو أفارض الكلام ومقاصد المخاطبين وقواعد التخاطب" (١٨)

ويقول مسعود صحراويّ: إنّ التيار التداولي (هو مذهب لساني يدرس النشاط اللغوي بمستعمليه وطرق وكيفيات استخدام العلامات اللغويّة بنجاح والسياقات والطبقات المقامية المختلفة التي ينجز ضمنها (الخطاب) والبحث عن العوامل التي تجعل من الخطاب رسالة تواصلية (واضحة) و(ناجحة) والبحث في أسباب الفشل في التواصل باللغات الطبيعية) (١٩)

ثم يلتفت مسعود صحراوي الى عنصر التواصل اللغوي فيجعل من التداولية اجراء مرتبطاً بإيجاد القوانين الكلية فيحدّها بقوله (هي ايجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي والتعرف على القدرات الانسانية للتواصل اللغوي وتصير (التداولية) من ثم جديرة بأن تسمى "علم الاستعمال اللغوي" (٢٠)

ويذهب مؤيد آل صوينت الى أنها "عبارة عن مجموعة من من النظريات نشأت متفاوتة من حيث المنطلقات ومتساوقة في النظر الى اللغة بوصفها نشاطاً يمارس ضمن سياق متعدد الأبعاد" (٢١)، ويعرّفها مرّة أخرى بالنظر الى لحظة الاستعمال الكلامي وما يتولد منه من دلالات ضمن المقام الخطابي فيقول بأنها: "دراسة الاستعمالات الفعلية لحظة الكلام وما يتولد عنها من دلالات في المقامات الخطابية في إطار التواصل ومقاصد الخطاب اللغويّ" (٢٢) ويعرّف (محمد عنّاني) التداولية بقوله هي "دراسة استخدام اللغة في شتى السياقات والمواقف الواقعية أي تداولها علمياً وعلاقة ذلك بمن يستخدمها تفريقاً لها عن مذهب العلاقات الداخلية بين الألفاظ وعلاقة الألفاظ بالعالم الخارجيّ أو دلالتها " (٢٣)، وحدّها د. عبد الحميد مصطفى السيد بأنها "اتجاه في الدراسات اللسانية يعنى بأثر التفاعل التخاطبي في موقف الخطاب ويتبع هذا التفاعل دراسة كل المعطيات اللغوية والخطابية المتعلقة بالتلفظ وبخاصة المضامين التي يولدها الاستعمال في السياق" (٢٤)

لقد وجد د. طه عبد الرحمن أن مصطلح التداولية أكثر المصطلحات ثبوتاً وإلصاقاً بالجذر اللغوي للفعل (دول) الذي يدل على التبدل من حال غلى حال وهذا هو "حال اللغة متحول من حال الى حال لدى المتكلم الى حال أخرى لدى السامع ومتنقلة بين الناس يتداولونها بينهم ولذلك كان (تداولية) أكثر ثبوتاً بهذه الدلالة من المصطلحات الأخرى الذرائعية والنفعية السياقية"(٢٥)، وهو أول من استعمل هذا المصطلح قبال المصطلح الغربي (pragmatique) ثم تبناه أحمد المتوكل فشاع وذاع في الدراسات اللسانية.(٢٦)

ويقول طه عبد الرحمن " وقد وقع اختيارنا منذ ١٩٧٠م على مصطلح التداوليات مقابلاً للمصطلح الغربي (براغماتيقا) لأنه يوفي المطلوب حقه باعتبار دلالته على معنيين (الاستعمال) و(التفاعل) معاً ولقي منذ ذلك الحين قبولاً من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم "(٢٧)

والتداولية مصطلح رُكّب من جزأين الأول (التداول)المشتق من الفعل تداول وهي صيغة (تفاعل) التي تدل على المشاركة والثاني(ية) وهي إشارة الى البعد المنهجي والعلمي (٢٨) وقد أشارت المصادر الى أن كلمة (pragmaticus) كلمة يونانية

تعني الغرض العلمي استعملها فلاسفة اليونان في العصور الأولى وتدل على العلمية إلا أن هذا المصطلح انتقل الى اللاتينية بما يقارب اللفظة نفسها (pragmaticus)، وبذلك تكون امتداد لذلك المصطلح العلمي والذي ترجم فيما بعد الى العربية بعدة ألفاظ منها: التبادلية، الاتصالية، والنفعية، والذرائعية.(٢٩)

أما د. عبد الجليل مرتاض فيشرح مصطلح (pragmatique) فيرى أنّه اختصار لكلمة (برغمة) وعنده أنّها ترجمة لـ(نفعيّ وعمليّ وواقعيّ وذرائعيّ)، وترتبط الأخيرة بالفلسفة الذرائعيّة ويتساءل د. عبد الجليل عن ترجمة (pragmatique) لسانياً الى التداوليّة إذ يرى أن لا علاقة بين (التداول)و (ذرائعيّ). وقد فضّل مصطلح (البرغمة) وهي مصطلح المناطقة الذي يشير الى استعمال لغويّ يضع المخاطبين في حالة من التفاعل التبليغيّ (٣٠)

الذي عرف بين الدارسين بمسميات مختلفة فهو يعني في اللغة الفرنسيّة بمعنى (محسوس) و(ملائم للحقيقة) وفي الإنجليزية فكلمة (pragmatic) تدل في الغالب على ماله علاقه بالأعمال والوقائع الحقيقية) (٣١)، والتي اشتقت من كلمة براغما أو براجما (pragma) ومعناها العمل (٣٢)

وقد صار لهذا المصطلح مفهوم حديث عند الفيلسوف الأمريكي تشارلز موريس الذي يدل على فرع من فروع اللغة إذ استعمله أول مرّة سنة ١٩٣٨م الذي سبق إليه (كانت)، والذي أخذ بورس بهذا المصطلح في بناء النظرية العامة للعلامات (٣٣)

ولم يكن موريس قد وضع هذا المصطلح إعتباطاً بل كان يخطط من خلاله لتحديد (السيموطيقا)فكان قوامه ثلاثة أبعاد أساسية هي النحو والدلالة والتداوليات التي تدرس علاقة العلامات بمؤولها (٣٤) ويعد تشارلس بيرس هو أول من وضع مصطلح (البراجماتية) في مقالته "كيف نجعل أفكارنا واضحة " (٣٥) أمّا (شارل موريس) فهو أول من بادر الى تعريف هذا المصطلح بقوله "هي أنّها دراسة علاقة العلامات بمستعمليها " (٢٦)

و"رغم تواتر استعمال لغة التداول قديماً وحديثاً إلا أنّ الدلالة الاصطلاحيّة تأخرت في المعاجم اللسانيّة الغربيّة على بدايات القرن العشرين" (٣٧)، ويظهر من خلال التعريفات الكثيرة لمصطلح التداوليّة، والذي ذكره عيد بلبع أن (كنت باش) قام بعمل إحصائيّ لحدود التداوليّة وقد وجد أنّها لا تخرج عن فكرة الاستعمال الذي وجدها في أغلب التعريفات.(٣٨).

الاختلاف في تحديد مصطلح التداولية:

تعد التداوليّة من الدروس الحديثة التي ظهرت على ساحة الدرس اللغويّ في العصر الحديث، وكان الغموض واضحاً في ظهورها ومجالات عملها، وترسّم استعمالاتها وفي نشأتها وهذا ما جعل الاختلاف واضحاً في وضع مصطلحها ومفهومها.

وقد تضافرت أسباب عدّة على هذا الاختلاف إذ إن مصطلح (pragmaticus) كان في أول ظهوره مصطلحاً يونانياً في العهود الأولى، وكان يعني الغرض العلميّ والذي اشتق من كلمة (pragma) والتي تعني العمل.(٣٩)، وحينما أصبح مصطلحاً لاتينياً في المفهوم الحديث لدى تشارلز موريس الذي يدل على فرع من فروع اللغة (٤٠) أصبح المصطلح يدرس في المجال اللغويّ، ولمّا كانت الحدود والتعريفات لا توضع إلا من خلال استعمال المعرّف في مجال عمله وعناصره وأجزائه، لذا وجدنا أن مصطلح التداوليّة قد اختلف فيها أيّما اختلاف، وذلك لأنّ التداوليّة قد كانت تغرف من مجالات معرفية متعددة، وتبني وجودها من علوم شتى، ومعارف مختلفة كعلم النفس والاجتماع والفلسفة والتاريخ والثقافة الدينية. فقد كانت بعيدة عن التخصص في بدايتها.(٤١).

وهذا ما انعكس على طبيعة المصطلح والاختلاف في مفهومه أمّا ترجمته فكان لها الحظ الأوفر في تعدد المعاني، واختلافها فقد نظر مترجم المصطلح الى التعريف، ولمّا تعددت التعريفات فقد أخذ ذلك أثره في ترجمة المصطلح الى اللغة العربيّة، فكان قد ترجم الى الذرائعيّة والمقصديّة والمقاميّة والتداوليّة، وهذا كلّه ناشئ من اختلاف حدود المصطلح وتعريفاته (٤٢) ولذلك " لم يتفق بعد على صيغة موحدة جامعة مانعة لتعريف التداولية " (٤٣)

فقد تجاذبت التداولية تعريفات عدّة فهي قد تكون (اتجاهاً في الدراسات اللسانيّة يعنى بأثر التفاعل التخاطبيّ في موقف الخطاب، وقد تكون " أقوالاً تتحول الى أفعال ذات صيغة اجتماعيّة بمجرد التلفظ بها" (٤٤)

وتتعدد تعريفات التداوليّة بناءً على المجال الذي يهتم به الباحث، فقد تقتصر عنايته بالمعنى، وقد يعرفها منطلقاً من الاهتمام بمراجع الألفاظ وأثرها في الخطاب، وقد يكون التعريف بناءً على وجهة نظر المرسل (٤٥)

وبلحاظ هذه التعريفات المختلفة وغيرها تتولد لمن يتصدى لترجمة المصطلح معانٍ مختلفة تبنى على جوهر المفهوم الذي ينشأ منه المصطلح العربيّ، ولصعوبة وضع تعريف جامع مانع للتداولية أسباب منها: أن نشأتها ما كانت لغويّة بل كانت في بدايتها تنتمي للحقل الفلسفيّ الذي كان له الأثر في نشأتها، وكذلك هي لم تكن فرعاً من مستويات التحليل اللغويّ، ثم هي بعد ذلك لا يمكن انضوائها تحت علم من العلوم اللغويّة على الرغم من مساسها بجوانب معينة من هذه العلوم (٤٦)

وفي ذلك يقول مانغونو عن التداولية " إنّه من الصعب الحديث عن التداوليّة، لأن هذا التعبير يغطيه العديد من التيارات من علوم مختلفة تتقاسم عدداً من الأفكار.... واللسانيون ليسوا وحدهم المعنيين بالتداولية، بل تعني الكثير من علماء الاجتماع الى المناطقة، وتتجاوز اهتماماتهم بمجموع الأبحاث المتعلقة بالمعنى والتواصل، وتطغى على موضوع الخطاب، لتصبح نظريّة عامة للنشاط الإنسانيّ " (٤٧)

ولذلك يعدّ الإبهام الذي يسود المصطلحات والمفاهيم من التحديات الكبيرة لدى الباحث، فالتداولية لم تكن ذات منشأ واحد بل تعاقبت عليها النظريات المختلفة التي اختلفت منطلقاتها إلا أنّها اتفقت في أن اللغة نشاط مجاله السياق المتعدد الأبعاد.(٤٨)

وقد قاد تداخل التداوليّة مع العلوم الأخرى واتساع المجال بها الى الاختلاف في مفاهيمها وحدودها إذ ذهب الدارسون لهذا التيار اللسانيّ مذاهب مختلفة في حدودها، فمنهم من عرّفها بأنّها " دراسة الأسس التي نستطيع أن نعرف بها لِمَ تكون مجموعة من الجمل الشاذة تداولياً؟ أو تعدّ في الكلام المحال " ومنهم من قال بأنّها "دراسة اللغة من وجهة نظر وظيفية " ومنهم من قال بأنّها "دراسة كلّ جوانب المعنى التي تهملها النظريات الدلاليّة"، ومنهم من قال بأنّها "دراسة جوانب السياق التي تشعر شكلياً في تراكيب اللغة، وهي جزء من مقدمة المتكلم" ومنهم من قال بأنّها "فرع من علوم اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلم أو دراسة معنى المتكلم". (٤٩)

ومن ذلك فإنّ أوجز تعريف للتداولية هو "دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل بين المتكلم والسامع في سياق محدد (ماديّ واجتماعيّ ولغويّ) وصولا الى الكامن في كلام معين". (٥٠)

وقد أدى اختلاف الدارسين للتداولية في توجهاتهم التي لم يتفقوا عليها الى عدم الاتفاق على تعريف جامع مانع يخلص بالمصطلح الى ثباته لدى الدارسين والباحثين، فضلاً عن أنّها درس جديد غير واضح الحدود والمعالم كلّ ذلك أدى الى الاختلاف الواضح في عدم وجود رؤية واضحة لإظهار مفهوم مصطلح التداولية ثابتاً في رؤى الباحث. (٥١)

معيار تحديد مفهوم التداولية:

هناك من الباحثين من يعدّ التداولية هي الأقرب الى اللسانيات من بقية الحقول المعرفيّة الأخرى، وهذا التقارب لابد أن يقوم على أسس منطقية، وعلمية يتحدد من خلالها المفهوم التداوليّ لكي يتعين انتماؤه الى المجال المعرفي الأقرب له.

وهذا يعتمد على تحديد المعيار الذي يبنى عليه المفهوم التداوليّ، ولذلك ذهب مسعود صحراويّ الى التساؤل عن المعيار الأساس في تحديد مفهوم التداوليّة، وقد قاده ذلك الى أن معيار البنية اللغويّة وحده يجعل من التداوليّة مساوية للسانيات البنيوية، وعند ذلك لا فرق بينهما وهذا خلاف ما توصلت إليه البحوث التداوليّة أما معيار الاستعمال اللغويّ وحده فيقود الى الاقرار بأن لا صلة بينهما وبين البنية اللغويّة، وهذا كذلك خلاف ما استقر عليه البحث التداوليّ.

وقد استقر في ذهنه أن تعالق البنية اللغويّة بمجال استعمالها هو الذي يبدو مبرراً ومقبولاً في المعيار الذي يحدد مفهوم التداولية.(٥٢)

وقد وجد (فاندايك) " أن البناء النظريّ للعبارات على المستويين الصوريّ والدلاليّ ينبغي أن يكمل ويتم بالمستوى الثالث أعني بمستوى فعل الكلام " (٥٣)، فالتداوليّة لم تكن علماً لغوياً محضاً، وإنّما هي علم تواصليّ جديد بين الجنس الإنسانيّ يقوم على أساس دراسة الظاهرة اللغويّة في مجال استعمالها معتمداً على قدرة الإنسان في تواصله اللغويّ، ومجال الفهم والإفهام (٥٤)

وبناء على معيار تعالق البنية اللغويّة بمجال استعمالها عرّفت التداوليّة، وثبت مفهومها في البحث التداوليّ فهي "مذهب لسانيّ يدرس علاقة النشاط اللغويّ بمستعمليه " (٥٥)

فوضع حدود وتعريفات الأجزاء لا يتأتى إلّا من خلال الاستعمال في مجاله ولمّا كانت مجالات التداوليّة مختلفة المنابع من علوم نفسيّة واجتماعيّة وفلسفيّة وتاريخيّة وثقافيّة ودينيّة أدى ذلك الى تأخر ظهور التداولية علماً مستقلاً على ساحة البحث العلمي إلّا بعد مدّة من الزمان حينما استطاعت أن تستقل بكيانها وانفصاله عن العلوم الأخرى (٥٦)

فكان معيارها في تحديد المفهوم هو أن ربطت التركيب بسياقاته، وما يحيط به الذي أخرجها من محيط الدراسات البنيويّة، فاتخذت من البنية اللغويّة معياراً لها في بحثها اللغويّ، وجانبت الدرس الدلالي الذي اكتفى بالدلالة اللغويّة في محيطه التركيبي، فقد جاءت التداوليّة بمعيار جديد هو الارتكاز على المعيارين وجعلهما متعالقين يشدّ بعضهما الآخر في بيان قصد المتكلم.

فجاء تعريفها بأنّها "الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة، وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزيّة والسياقات المرجعيّة والمقاميّة والحديثة والبشريّة" (٥٧)

وكان التمييز تحديد المفهوم الاصطلاحيّ للتداولية من جهة وبين الدلالة والنحو من جهة أخرى عاملاً ملازماً لها وينظر ذلك من البدايات الأولى لمفهوم التداولية عند موريس حينما قارن بينهما (٥٨)

فـ" المعنى ليس شيئاً متصلاً في الكلمات وحدها ولا يرتبط بالمتكلم وحده ولا السامع وحده، بل أن صناعة المعنى تتمثل في تداولية اللغة بين المتكلم والمخاطب في سياق محدد ماديّ واجتماعيّ ولغوي وصولاً الى المعنى الكامن في كلام ما " (٥٩)

ترجمة مصطلح التداولية:

تعد الترجمة اليوم واحدة من أهم العلوم، أو الفنون على اختلاف الآراء في نقل المفاهيم والمصطلحات فضلاً عن العلوم الأخرى من لغة الى أخرى، لتبادل المنفعة العلميّة إلا أنّ هذه المصطلحات والمفاهيم قد تكون عقبة كبيرة أمام المترجم الذي يتبين هذه المهمة.

"ونظراً لهذه الأهميّة القصوى فإنّ الترجمة تحتاج بلا شك الى أقصى درجات الضبط الدقيق والتحرز الشديد وذلك، لأنّ كل أمة تعرض ما لديها من علم وفن وثقافة بلسانها الخاص والذي هو صندوق أسرارها وديوان ثقافتها "(٦٠)

وتعد الترجمة جزءاً من عمل المختص في الدراسات اللسانيّة التطبيقيّة وعليه أن يفهم الافتراضات اللسانيّة النظريّة إذ يتعين على المترجم أن يفهم البنية التحتية، وليس هو بنيتها التحتية لا السطحية ولذلك أثبتت الدراسات مجال ترجمة المصطلحات العلمية أنّها لابد أن تكون مراعية لخصائص المصطلح والعلم معاً (٦١)

وتعد ترجمة المصطلح مشكلة تقف أمام المترجم وهي معضلة قائمة ومستمرة باستمرار التقدم العلمي وتطوره، وقد فطن لها العلماء واهتموا بها وهي مشكلة فرضت نفسها على أرض الواقع العلميّ (٦٢)

وقد يعود الخطأ في بعض الترجمات المصطلحيّة، وعدم دقتها الى إجراء عملية الترجمة بعيداً عن معرفة المصطلح، أو إغفال السياق الفكريّ والمعرفيّ المنتجة للمصطلح (٦٣)

ولذا لابد من البحث في جميع مراحل تطور المصطلح ومسيرته التكامليّة حتى استقراره ونضجه (٦٤)

ولذا ذهب مصطفى غلمان الى أنّ "وضع المصطلح يقتضي بالضرورة الرجوع الى السياق الطبيعيّ الذي وردت فيه ضمن إطارٍ نظرية لسانية معينة "(٦٥)، إذ إن للسياق أهمية في تحديد دلالة المصطلح، وهو ذو مدخلية في عملية الترجمة فضلاً عن تداخل الحقول المعرفيّة التي تكون مرجعاً في منشأ المصطلح، والتي تزود المترجم بدلالة واضحة. (٦٦)

وفي هذا السياق تعد ترجمة مصطلحات التداوليّة مهمة لغويّة كبيرة في العصر الحديث ذلك، لأنّ أغلب مصطلحاتها ناشئة من اللغات الغربيّة، ثم أصبحت وافدة الى العربيّة، ولذلك نجد الدارسين العرب للتداوليّة قد أعطوا لمصطلح التداولية أهميّة كبرى، لأنه الركيزة التي يقوم عليها فَهْم هذه المعارف الوافدة من الغرب.

ويعد طه عبد الرحمن أول من تصدى لترجمة مصطلح (pragmatique) ووضع مصطلح عربيّ يقابله وهو (التداوليات) بصيغة الجمع وهو ما يطابق المصطلح الغربيّ (pragmatics) إلّا أنّه شاع بصيغة المفرد (التداولية) ويرى حفناوي بعلي أن صيغة الجمع لها وجه في هذا المضمار إذ يقول (ما دام ارتباط الحقيقة قائمة على حركة التواصل واستهداف المعنى فلا غرابة إذن أن تصادف العديد من التداوليات) (٦٧)

إلّا أنّ، هذا المصطلح لم يسلم من الاعتراضات من قبل اللسانيين الذين تناولوا المصطلح ذاته إذ نجد محمد يونس يترجم المصطلح الغربيّ الى (علم التخاطب) معترضاً على الترجمات الأخر، كـ(الذرائعيّة، والنفعيّة والتداوليّة)، ويراها أنّها ترجمات غير موفقة مستدلاً على ذلك بما يفسره الغربيّون بأنّه علم الاستعمال (the science of use) (٦٨)

وقد تعددت ترجمات (pragmatique) الى أكثر من أربع ترجمات منها(الذرائعيّة، والتداوليّة، والنفعيّة، والبراغماتيّة، وكذلك ترجمت الى السياقيّة والانفعاليّة، وهذا يعكس طبيعة الفهم لدى المترجم وقربه من مفهوميّة المصطلح الغربيّ (٦٩)

وكان (محمد يونس علي) يرى أن الوهم الذي وقع فيه بعض اللسانيين العرب بأن جعلوا(pragmatics) و(pragmatism) شيئاً واحداً، إلا إنّ الواقع يقول غير ذلك فالمصطلح الأول يراد منه الدراسات التي تعنى بالمعنى في السياقات الفعلية للكلام أي علم الاستعمال.

أمّا المصطلح الثاني فهو ينتمي الى المدرسة الفلسفيّة التي ظهرت في أمريكا(٧٠)

وقد نجد من الترجمات العربية التي تجعل المصطلح (pragmatique) لفظين لمعنى واحد وهما الوظيفة والتداولية.(٧١)

وقد اختلف د. قصي العتابيّ مع محمود فراج حافظ في ترجمة (pragmatics) في كتاب جورج يول إذ يذهب الأول الى ترجمته بمصطلح التداولية، ويذهب الثاني الى ترجمته بـ(البراجماتية) وهذا يكشف عن عمق الخلاف في الترجمة لمصطلح ومؤلف واحد، وترجمه محمد علي الخولي بـ(علم الرموز) (٧٢)، ومن ذلك يلاحظ وضع مصطلح التداوليّة، وعمق العشوائيّة التي يمرّ بها في حركة الترجمة والاختلاف في رسم الثابت في المقابل العربيّ.

وقد أدى ذلك التعدد في وضع المصطلح اللسانيّ الى حدوث أزمة معرفيّة لدى القارئ العربيّ وخلط في المفاهيم وصعوبة في رسم المفهوم المعرفيّ على مستوى الباحثين والقارئين فالمصطلح يمثل جوهر الفكرة لدى منتجها، فحينما يبعد المترجم في نقل المعنى الذي أراده واضعه يصبح هناك انحراف معرفي ودلاليّ في أصل الموضوع.

المبحث الثاني: مفاهيم في مباحث التداولية.

مصادر انبثاق التداولية:

حينما نبحث عن المصادر التاريخيّة لأي جهة معرفيّة فلا بد أن نبحث عن الصلات والحقول المعرفيّة التي ساندتها وارتبطت بها، وقد تكون قد أسست لها وانبثقت منها.

فإنّ العلوم لا يمكن لها أن تولد وتراً بلا معين، أو سند من العلوم والمعارف الأخرى، وهذا ما نجده في شتى أنواع المعرفة والعلوم التي بنيت بروافد قد عززتها، وتراكمات معرفية شيدتها.وهذا يبدو واضحاً في مراجع التداولية، فقد التقت عدّة علوم

ومعارف وتعاضدت عليها اختصاصات مختلفة في بناء هذا الصرح المعرفي فكانت " للفلسفة والسميائيات والرياضيات والبحوث النفسية والاجتماعية والذهنية، وهي اختصاص بقدر ما تؤسس لفروضها ومفاهيمها الخاصة بقدر ما كانت رافدا خصباً للتداولية" (٧٣)

ويمكن أن نتلمس الجذور الأولى للتداوليّة في (الفلسفة التحليلية) وهي الأكثر تغييراً في مهمة الفلسفة التي جعلت من اللغة موضوعاً لها (٧٤)

ويظهر في البحث التداوليّ أنّه وليد الثقافة الإنجلوساكسونية الذي تطور في الدراسات المتحدة وإنجلترا (٧٥)

لقد كانت التداولية قبل عام ١٩٥٧م لها واقع ممارس دون الدراسة المنهجيّة إذ ظهرت الإشارات الأولى لدى بعض اللسانيين مثل: سوسير في تقسيمه للغويات الداخليّة والخارجيّة والثانية هي المعينية فهي دراسة للعلاقات بين اللغة من جهة وحال المخاطب والمتكلم من جهة أخرى (٧٦)

وهذا يكشف عن الإلماحات الأولى للتداولية لكنها لم تكن مقصودة في الدراسات المنهجية، ومن مصادر التداوليّة التي انبثقت منها هي الفلسفة الذرائعيّة التي صاغها أول مرّة هوريس (١٨٣٩م- ١٩١٤م) أمّا الفلسفة التحليلية فتعد من أهم المصادر المعرفيّة للأفعال الكلامية فهي تعد الأساس للمعرفة التداوليّة التي تعود الى مؤسسها جوتلوب فريجة (٧٧)

وقد أفادت الفلسفة الظاهراتية التداوليّة بمبدأ كان له من الإفادة الكبيرة ماهو ظاهر في الدراسات التداوليّة وهو مبدأ القصديّة الذي نادى به أوستن وأدخله في تحليل العبارات اللغوية إذ ربط بين التراكيب اللغويّة وغرض المتكلم والمقصود العام من الخطاب (٧٨)

ويمكن القول إنّ البداية الفعليّة للتداوليّة بوصفها منهجاً لغويّاً ظهرت في أعمال فلاسفة اللغة وبخاصة عند جون أوستن عام ١٩٥٠م ومحاضرات بول كرايس (٧٩)

ويظهر خلال البحث التاريخيّ للدرس التداوليّ أن للتداوليّة مصادر متعددة ومتنوعة استمدت منها قوامها وانبثقت منها مفاهيمها، فقد انبثق مفهوم الأفعال الكلاميّة وهو مفهوم تداوليّ من تيار الفلسفة التحليلية أمّا مفهوم (نظريّة المحادثة) فقد انبثق من فلسفة بول كرايس وتولدت نظريّة الملاءمة من علم النفس المعرفيّ (٨٠)

ولما كانت التداولية متعددة المشارب ومختلفة المصادر فـ" إن التداوليّة في بداياتها لم تكن ذات طبيعة تخصصيّة، وبعد ظهورها على الساحة العلميّة سعت لإثبات ذاتها بأن أصبح لها مستقبل وكيان منفصل عن العلوم الأخرى" (٨١)

وقد انماز تحليل الفلاسفة باكتشاف عدّة ظواهر لغويّة تداوليّة قاموا بدراستها بجد وعمق وأهمها: الاحالة والاقتضاء والاستلزام الحواري ومفهوم الافتراضات المسبقة وظاهرة الأفعال الكلامية (٨٢)،

وتعد التداوليّة من العلوم الغربيّة المنشأ مفهوماً واصلاحاً، إذ نمت وترعرعت في مصادرهم الأولى حتى أصبحت علماً قائماً في ساحة الدراسات اللغويّة و هذا لا يعني أنّ التراث العربيّ يخلو من مبادئ التداوليّة، فقد كان حافلاً بمصطلحات ومفاهيم لها أثرها في بناء أساس لغويّ للتداوليّة، وإن كانت هذه المصطلحات بألفاظ أخرى مغايرة للمصطلح الحديث ونجد ذلك واضحاً عند سيبويه والنقاد والبلاغيّين فالقصديّة من الأدوات الإجرائية في التداوليّة (٨٣)

"إذ إن الميلاد الحقيقي لهذا المنهج كان عند الغرب لا عند العرب بالرغم من وجود الإشارات المتعلقة بالتداوليّة في تراثنا العربيّ" (٨٤)

ولم يقف الأمر عند سيبويه بل نجد ذلك عند الجاحظ في مراعاة المتكلم للمخاطب فلا " يكلم سيد الأمة بكلام السوقة" (٨٥)

وهذا ما أثمرت عنه الفلسفة الظاهراتية حينما أفادت التداوليّة بمبدأ القصديّة واستثماره من قبل أوستن في دراسته للأفعال الكلامية (٨٦)، ولم تكن ظاهرة الأفعال الكلاميّة ببعيدة عن تراثنا العربيّ فقد ظهرت جليّة في نظريّة (الخبر والإنشاء)، إذ

تناولتها أقلام عدد كبير من العلماء وعمقوا البحث فيها من نحويين وبلاغيين ومنهم سيبويه وعبد القاهر الجرجانيّ والسكاكيّ والاسترابادي والقزوينيّ والتفتازانيّ وغيرهم حتى قيل إنّ "البلاغيين القدامى كانوا تداوليين" (٨٧)

ولم يقتصر الأخذ بهذا الظاهر عند هؤلاء بل عمل بعض الفقهاء والأصوليين حينما طبقوها على النصوص القرآنيّة والسنّة النبويّة الشريفة لدراسة المعاني الوطنية وبخاصة (ألفاظ العقود) التي تنشأ منها المعاملات، والعقود والمعاهدات وما يبنى عليها من تشريعات، وقد عملوا بها غير هؤلاء كالفلاسفة والمناطقة (٨٨)، ولكن مع كل هذا لم يكن البحث في هذه الظاهرة مقصوداً لذاته بل كان البحث مقصوداً لغيره (٨٩)

وقد انتشرت التداوليّة في الغرب وذاعت في العالم العربيّ فما زالت في بدايتها الأولى، إذ لم تدمج الى الآن في الحقل المعرفيّ الثقافيّ العربيّ إلّا القليل من الدراسات التي أخذت تنمو في البحث اللسانيّ، على الرغم من أن الباحثين قد رصدوا آثارها في التراث العربيّ كالبلاغة والفقه والفلسفة وغيرها (٩٠)

فكان التراث العربيّ مصدراً وموردا اعتمده الباحث العربيّ في تأصيل التداوليّة، ومسنداً يرتكز عليه في استمداده المعرفيّ وبناء قاعدة أصيلة تمكنه من الاتجاه التداوليّ نحو الاستعمال اللغويّ.

القيمة العلميّة للتداولية:

لا مبالغة في الأمر إذا قلنا إنّ التداوليّة قد أصبحت سيّدة ميدان الأبحاث اللسانية، لاسيما في التواصل اللسانيّ إذ أصبحت مثار اهتمام العديد من الباحثين والدارسين والنقاد في مجالات مختلفة من التخصصات، فأصبح ينظر إليها بعين الحاجة في معظم المعارف الإنسانيّة مثل علم النفس والاجتماع والاتصال والنقد الأدبي والبلاغة وتحليل الخطاب وغيرها من العلوم اللسانية.(٩١)

وقد أصبحت القيمة العلميّة للتداوليّة مثار جدل واختلاف في وجهات النظر بين الدارسين في تحديد الجدوى من البحث فيها، والتشكيك في أهميتها بالرغم من أن كثيراً منهم يعترف، ويقرّ بأنّ التداوليّة هي التي تسعفنا بإيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغويّ، وهي التي تكشف عن قدرات الإنسان على التواصل اللغويّ، وبذلك يمكن القول إنّ التداوليّة جديرة بأن تكون هي علم استعمال اللغة (٩٢)

وقد عاب بعض الدارسين على التداوليّة ووصمها بأنّها سلة مهملات اللسانيات فتلقى فيها كلّ ظاهرة يعجر حلّها في سياق البحث اللغويّ، وقد أصبح هذا العيب مدعاة لإثارة الاهتمام بالقيمة العلميّة للتداوليّة (٩٣)

إذ إنّ عجز البحث اللغويّ عن حلّ هذه الظواهر وإلقائها في مجال التداوليّة التي تأتي بالحلول الناجعة يعني أنّها ذو قيمة علميّة قادرة على حلّ المشاكل اللغويّة التي يعجز عنها البحث اللغويّ ومن هنا تأتي أهميّة التداوليّة، وبأنّها علم يستحق البحث والدراسة في مجال الدرس اللغويّ.

ولذا "كان أوستن يلح على القيمة التداوليّة لعبارات لغويّة كثيرة في اللغة الإنجليزيّة، وربما في كلّ اللغات فقد أدخل مفهوم القصديّة في فهم كلام المتكلم وفي تحليل العبارات اللغويّة" (٩٤)

ومن قيمتها العلميّة أنّها درست اللغة في الاستعمال الذي بقيت الدراسات اللغوية لفترات قريبة عاجزة أو غافلة عن الخوض في هذا المجال فضلاً عن أنّها كشفت عن فشل عالجته اللسانيات البنيويّة للملفوظات، ثم أظهرت الأفضليّة للتواصل غير المباشر على التواصل المباشر (٩٥)

ولذا رأى (ليتش) أنّ في التداوليّة حلاً ناجعاً لهذه المشكلات التي عجزت عنها الدراسات البنيويّة إذ إنّ المتكلم والمخاطب يبحثان عن قصد للأول ومفهوم للثاني، اذ إنتاج الكلام ولحظة التلفظ وهذه المقاصد والمعاني لا تتكشف إلّا عبر التقدير الذهني، وتحليل المفاهيم والمعاني الآنية وفي سياقها القائم حين التكلم إذ لا يمكن للنحو أن يظهرها ويكشف عن معانيها (٩٦)

وتظهر القيمة العلميّة للتداوليّة بأنّها "حرصت على تغيير الملامح العامة لطريقة فهم الملفوظات في التواصل والتفاعل البشريّ من خلال تجاوز التصور الثنائي لمفهوم العلامة اللسانيّة كما قدمه سوسير من جهة، والابتعاد عن الطابع الخطيّ الذي ميّز نظريّة التواصل الآلي" (٩٧)

مقوّمات التداوليّة:

تعد أفعال الكلام من المقومات الرئيسة للتداوليّة التي نشأت عليها في فكرتها الأولى وهي مرجع أساس بل هي من أهمها إذ ارتبطت بالإنجاز الفعليّ (٩٨) أي: ما يؤديه المتكلم من ألفاظ حين التكلم، فاللغة ليست أفكاراً، أو رموزاً تنقل الى الآخرين فحسب بل هي تواصل اجتماعي تؤدى فيه المقاصد والمعاني المستترة خلف الألفاظ.

" وينطلق مؤسس هذه النظريّة أوستن من فرضيّة كبرى مفادها أنّ اللغة ليست أداة لنقل الأفكار ووصف الأشياء وإنّما هي ميدان تنجز فيه أفعال" (٩٩). وهنالك من المقوّمات ما يعضد الأفعال الكلاميّة يتداوله الدارسون، وهي القصدية: التي تكون مسؤولة عن الربط بين التراكيب اللغويّة وغرض المتكلم، فضلاً عن الاستلزام الحواري ومتضمنات القول ونظريّة الملاءمة. (١٠٠)

أمّا علم الاجتماع فعلاقته وثيقة و شاخصة بالتداولية، لاسيما في مبدأ الإشارات وهي التعبيرات التي تحيل الى مكونات السياق الاتصالي للمتكلم والمتلقي وزمن المنطوق ومكانه، وبذلك يعدّ واحداً من مقوماتها.(١٠١)

وقد أقرّ بول كرايس مبدأ التعاون مقوماً للتداوليّة، وهذا المبدأ يفترض على المتحاورين التعاون على إنجاز عملية المحادثة من خلال الالتزام بمجموعة من القواعد وهي قاعدة الكم التي تفرض على المتكلم معلومات معادلة لما هو ضروريّ في مقام التكلم.

وقاعدة النوع التي تفرض على المتكلم عدم الكذب وأن تكون له الحجج الكافية لإثبات ما يدعيه أما قاعدة المناسبة فكون الحديث ذا علاقة بالأقوال السابقة، وله ارتباط بأقوال الآخرين، ومن مستلزمات التعاون كذلك قاعدة الكيف التي تعني التعبير عن المعلومات بوضوح وترتيب المفهوم. (١٠٢)

كلّ هذه المقومات جعلت من التداولية مذهباً لسانياً يستند الى أسس ثابتة ومستقرة في مجال الدرس اللساني، تعزز من وظيفتها اللغويّة في الكشف عن مقاصد الكلام وتوضيح معاني الألفاظ، لتكون جزءاً فاعلاً في عمليّة التواصل اللغويّ.

الاستنتاجات:

١-كشف البحث عن أن مفهوم التداوليّة لم يكن مستقراً على تعريف جامع مانع وهو شرط التعريفات لدى الدارسين، بل اختلفت فيه الآراء كثيراً كلّ حسب رؤيته.

٢-كانت للترجمة الحظ الأوفر في تعدد معاني مصطلح التداولية، فقد زاد الاختلاف في ترجمته اختلافاً وتعدداً في مفهومه، ما أدى الى تجاذب المفهوم بحسب الألفاظ التي نتجت من الترجمة.

٣-تضافرت عدّة علوم لانبثاق التداوليّة، إذ تعددت منابعها وتنوعت مصادرها فكان للفلسفة والمنطق والعلوم النفسيّة والاجتماعيّة وغيرها أثر كبير في نشوء علم الاستعمال اللغويّ، وإرساء مقوماته وتكامل أجزائه في ميدان البحث اللسانيّ.

٤-للتداولية قدرة على حلّ كثير من الظواهر اللغويّة التي يعجز عنها البحث اللغويّ فهي ذات قيمة علمية تنفي عنها مقولة إن التداولية سلّة مهملات تلقى فيها بعض الظواهر اللغويّة التي تعجز عنها البنيويّة.

التوصيات:

١-إعطاء المصطلح أهميّة كبيرة في البحث اللغويّ، والتأكيد على توحيد مفهومه وشموليته حتى يكون جامعاً مانعاً، لأنّه يكشف عن مضامين المادة البحثيّة، وهو دعامة أساس في سير الباحث نحو المعرفة، واستكشاف أجزائها وعناصرها.

٢-تعد ترجمة المصطلح جزءاً مهماً في البحث اللسانيّ فلا بد من إيجاد اللفظ المناسب للمعنى الاصطلاحيّ، فإلى صحته يستند الباحث في تقويم أفكاره وآرائه.

٣-لا بد من تلمس المصادر التي انبثقت منها التداوليّة والاهتمام بمعرفتها إذ إن ذلك يعطي رؤية واضحة للباحث تكوّن خزيناً معرفيّاً ثرّاً لتوجيه أفكاره ورؤاه.

الهوامش:

١-لسان العرب، ٢٥٢/١١، والقاموس المحيط، ٩٠٠

٢- مجمع اللغة العربية، ١/ ٣٠٤

٣- آل عمران، ١٤٠

٤- تفسير القرآن الكريم، ٣/ ٥٤٢

٥- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ١٥٠

٦- أساس البلاغة، ٣٠٣

٧- معجم مقاييس اللغة، مادة (دول)

٨- لغة الشعر الجزائري المعاصر مقاربة تداولية من ٢٠٠٠ الى ٢٠٠١، ٨

٩- التداولية النظرة والنشأة، مجلة كلية الآداب، ٦١

١٠- التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ٣١

١١- المقاربة التداولية، ٨، وينظر: شظايا لسانية، ٥٩

١٢- الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، ٢٢

١٣- التداولية، ٢٠

١٤- شظايا لسانية، ٥٩

١٥- المقاربة التداولية، ٨

١٦- تجليات مفاهيم التداولية في التراث العربي تفسير الرازي لسورة (المؤمنون) أنموذجاً، ٣٧

١٧- مبادئ التداولية، ٥

١٨- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام المركز الثقافي العربي، ٢٨

١٩- التداولية عند علماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ٥

٢٠- التداولية عند علماء العرب، ١٦ -١٧

٢١- الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، ٢٢

٢٢- التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ٣٤

٢٣- التداولية البعد الثالث في سيميو طيقا، ٥

٢٤- دراسات اللسانيات بنية الجملة العربية ، ١١٩

٢٥- التراكيب النحوية والتداولية علم النحو وعلم المعاني في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ١٤٨

٢٦- التداولية اللسانية، ٢٨

٢٧- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ٢٨

٢٨- ينظر: المنطق البراغماتي عند بيرس مؤسس الحركة البراغماتية، ١٩٦

٢٩- ينظر: دليل الناقد الأدبي، ١٠٢

٣٠- ينظر: القاموس الوجيز في المصطلح اللساني (فرنسي، عربي)، ٣٠٨، ٣٠٩

٣١- ينظر: التداولية من أوستن الى غوفمان، ١٧

٣٢- ينظر: مذاهب فلسفية، ١٤٠

٣٣- ينظر: التداوليات علم استعمال اللغة، ١٩

٣٤- ينظر: التداوليات علم استعمال اللغة، ٢

٣٥- ينظر: مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، ٩، ١٠

٣٦- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ٢٩٠

٣٧- السور المسبحات دراسة تداولية، ١٥

٣٨- ينظر: التداولية البعد الثالث في سيموطيقيا، ٣٨

٣٩- ينظر: مذاهب فلسفية، ١٤٠

٤٠- ينظر: السور المسبحات دراسة تداولية، ٧

٤١- ينظر: النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، ٨

٤٢- ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ١١

٤٣- النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، ٨

٤٤- التداولية في البحث اللغوي والنقدي، ٣٢

٤٥- ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ٢٢

٤٦- ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ١٠

٤٧- في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية، ٦٣

٤٨- ينظر: تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ٧

٤٩- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ١٢

٥٠- التداولية النشأة والتطور، ٥

٥١- ينظر: النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، ٨

٥٢- ينظر: التداولية عند علماء العرب، ١٥ -١٦

٥٣- التداولية أصولها واتجاهاتها، ١٦

٥٤- ينظر: النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، ١

٥٥- النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، ١٠

٥٦- ينظر: النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، ٨

٥٧- التداولية من أوستن الى غوفمان، ١٨

٥٨- ينظر: تجليات مفاهيم التداولية في التراث العربي تفسير فخر الدين، ٢٦

٥٩- النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصر، ١٠

٦٠- ترجمة المصطلحات اللغوية، ٧

٦١- ينظر: التواصل اللغوي مقاربة لسانية وظيفية نحو نموذج لمستعملي اللغة الطبيعية، ٤

٦٢- ينظر: إشكالية ترجمة المصطلح في نظرية النحو الوظيفي، ١

٦٣- ينظر: الترجمة والمصطلح دراسة في اشكالية ترجمة المصطلح النقدي الجديد، ١٧، ١٨

٦٤- ينظر: المصطلح النقدي، ١٣

٦٥- المجمع الموحد لمصطلحات اللسانية، ١٥٩

٦٦- ينظر: اللسانيات الوظيفية، ١٨

٦٧- ينظر: التداولية البراغماتية خطاب ما بعد الحداثة، ٥٠

٦٨- ينظر: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ٥

٦٩- ينظر: المصطلح الأسلوبي العربي في ترجماته العربية دراسة وصفية نقدية من خلال كتابي الأسلوب والأسلوبية، ١٧، والمرجعية اللغوية في النظرية التداولية، ١٠

٧٠- ينظر: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ١٠٢

٧١- ينظر: اللسانيات الوظيفية، ١٨

٧٢- ينظر: معجم علم اللغة النظري، ٢٢
٧٣- التداولية أصولها واتجاهاتها، ٢٥
٧٤- ينظر: الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، ٤٣
٧٥- ينظر: الأبعاد التداولية عند الأصوليين، ٣٥
٧٦- ينظر: التداوليات علم استعمال اللغة، ٦٤
٧٧- التفكير التداولي في كتاب الحروف، ٥٥، ٥٧
٧٨- ينظر: التداولية عند علماء العرب، ٢٣
٧٩- ينظر: البعد التداولي عند سيبويه، ٢٤٥
٨٠- ينظر: التداولية عند علماء العرب، ٣
٨١- النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، ٩
٨٢- ينظر: التداولية عند علماء العرب، ٢٦
٨٣- ينظر: التفكير التداولي في كتاب الحروف لأبي نصر الفارابي، ٣١
٨٤- البعد الهوياتي والوثائقي في راوية الأمير مسالك أبو الحديد، مقاربة تداولية، ٤٣
٨٥- البيان والتبيين، ١/ ٩٥
٨٦- ينظر: التداولية عند علماء العرب، ٢٣
٨٧- التداولية من أوسن غلى غوفمان، ٢٠
٨٨- ينظر: التداولية عند علماء العرب، ٧
٨٩- ينظر: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين، ٥
٩٠- ينظر: التداولية بين النظرية والتطبيق، ٥، ٦
٩١- ينظر: التداولية مقدمة عامة، ٢٢١
٩٢- ينظر: المباحث التداولية عند الدكتور محمود أحمد نحلة، ٢٩٤
٩٣- ينظر: التداولية عند علماء العرب، ٢٧
٩٤- التداولية مقدمة عامة، ٢٢٤
٩٥- ينظر: التداولية مقدمة عامة، ٢٢٤
٩٦- ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ٢٣
٩٧- التداولية أصولها واتجاهاتها، ٥٥
٩٨- ينظر: التفكير التداولي في كتاب الحروف لأبي نصر الفارابي، ١٩
٩٩- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ٢٩٧
١٠٠- ينظر: التداولية عند علماء العرب، ٣٠
١٠١- ينظر: ألفاظ العقود في التراث اللغوي العربي، دراسة تركيبية تداولية (ماجستير)، ٣٨
١٠٢- ينظر: التداولية المعرفية الأصول والمبادئ، ٣

المصادر:

١-**الأبعاد التداولية عند الأصوليين**، فضاء ذياب غليم الحسناويّ، مدرسة النجف أنموذجاً، ط١، بيروت، ٢٠١٦م.

٢- **الأبعاد التداولية في تفسير البحر المحيط الأدبي لأبي حيان الأندلسي**، أحمد سالم عوض، دراسة تحليلية، رسالة ماجستير، كلية العلوم، جامعة المينا، ٢٠١٨م.

٣- **أساس البلاغة**، الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨م

٤- **استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية**، دار الكتاب العربي، عبد الهادي بن ظاهر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤م.

٥- **إشكاليات ترجمة المصطلح في نظرية النحو الوظيفي**، نوالي وهيبة، كلية الآداب واللغات والفنون، الجزائر، ٢٠١٦م

٦- **البعد التداولي عند سيبويه**، إدريس مقبول، عالم الفكر، وزارة الثقافة والآداب، الكويت، العدد/١، المجلد/٣٣، ٢٠٠٤م.

٧- **البعد الهوياتي والوثائقي في رواية الأمير مسالك أبو الحديد، مقاربة تداولية**، زحاف حبيب، دكتوراه، كلية الآداب واللغات والفنون، الجزائر، ٢٠١٤م

٨- **البيان والتبيين**، الجاحظ، تقديم وتبويب وشرح: علي أبو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

٩- **تجليات مفاهيم التداولية في التراث العربي تفسير فخر الدين الرازي لسورة (المؤمنون) أنموذجاً**، عبد الرحمن بشلاغم، ماجستير، كلية الآداب واللغات، الجزائر، ٢٠١٤م)

١٠- **تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية منشورات الاختلاف**، عمر بلخير، ط١، دت.

١١- **التداوليات بين النظرية والتطبيق**، جميل حمداوي، ط١، دار الريف للطبع والنشر الألكتروني، ٢٠١٩م

١٢- **التداوليات علم استعمال اللغة**، حافظ اسماعيل علوي، إعداد وتقديم: عالم الكتب، الأردن، ٢٠١١م.

١٣-**التداولية أصولها واتجاهاتها**، جواد ختام، ط١، دار كنوز المعرفة، عمان، ٢٠٠٦م

١٤- **التداولية، البراغماتية، خطاب ما بعد الحداثة**، حفناوي بعلي، عدد، ١٧، مجلة اللغة والآدب، الجزائر، ٢٠٠٦ م.

١٥- **التداولية البعد الثالث في سيميو طيقا**، عيد بلبع، موريس، مجلة فصول، القاهرة، العدد، ربيع، ٢٠١٥م

١٦- **التداولية**، جورج يول، ترجمة: د. قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط١، ٢٠١٠م

١٧- **التداولية عند علماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي**، مسعود صحراوي، ط١، ٢٠٠٥م.

١٨- **التداولية في البحث اللغوي والنقدي**، بشرى البستاني، مؤسسة السياب، ط١، ٢٠١٢م. **التداولية اللسانية**، الطاهر لوصيف، مجلة اللغة والأدب جامعة الجزائر العدد، ١٧، ٢٠٠٦م

١٩-**التداولية مقدمة عامة**، خلف الله بن علي، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، المجلد، ١٤، العدد/١، ٢٠١٧م.،

٢٠- **التداولية من أوستن الى غوفمان**، فيلب نشية، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار للنشر سوريا، ط١، ٢٠٠٧م،

٢١- **التداوليّة النشأة والتطور**، هديل حسن عباس حسن، جامعة بغداد، كلية بن رشد للعلوم الإنسانية، ٢٠١٧م.

٢٢- **التداولية النظرة والنشأة**، عمر الفرجاني، مجلة كلية الآداب، د. جمعة، جامعة الزاوية العربي، العدد، ٢٠، ٢٠١٥م

٢٣- **التداولية اليوم علم جديد في التواصلية**، آن روبول، وموشلار جاك، ترجمة: د. سيف الدين دغفوس، ود. محمد الشيباني، ط١، ٢٠٠٣م

٢٤- **الترجمة والمصطلح دراسة في إشكال ترجمة المصطلح النقدي الجديد**، السعيد بوطاجين، منشورات الجزائر، ط١، ٢٠٠٩م

٢٥- **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، أبو الفداء اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي(٧٠١هـ - ٧٧٤هـ)، دار ابن حزم، ط١، بيروت، ٢٠٠٠م.

٢٦- **التفكير التداولي في كتاب الحروف لأبي نصر الفارابي**، بن شريط نصيرة، دكتوراه، كلية الآداب واللغات، ٢٠١٧م.
٢٧- **التواصل اللغوي مقاربة لسانية وظيفة نحو نموذج لمستملي اللغة الطبيعية**، عز الدين البو شيجي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ٢٠١٢م.
٢٨- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللوحيق، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ٢٠٠٢م.
٢٩- **الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي**، مؤيد آل صوينت، مكتبة الحضارات، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٠م.
٣٠- **دراسات اللسانيات بنية الجملة العربية التراكيب النحوية والتداولية، علم النحو وعلم والمعاني**، عبد الحميد مصطفى السيد، دار حامد، عمان، ٢٠٠٣م.
٣١- **دليل الناقد الأدبي**، ميجال الرويلي، سعد البازغي، المركز الثقافي العربي، ط٢، الدار البيضاء، ٢٠٠٠م.
٣٢- **السور المسبحات، دراسة تداولية**، محمد شمخي جبر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ماجستير، ٢٠١٦م.
٣٣- **شظايا لسانية**، مجيد الماشطة، مط: السلام، ط١، ٢٠٠٧م-
٣٤- **في أصول الحوار وتجديد علم الكلام المركز الثقافي العربي**، طه عبد الرحمن، الدار البيضاء، المغرب، ط٢، ٢٠٠٠م
٣٥- **في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم**، خليفة **بو جادي، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العالمة**، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩م،
٣٦- **القاموس المحيط**، الفيروز آبادي، ضبط:يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، ط١، بيروت، ٢٠٠٣م.
٣٧- **القاموس الوجيز في المصطلح اللساني (فرنسي – عربي)**، عبد الرحمن مرتاض، ، دار هومة، للطباعة والنشر، الجزائر، ٢٠١٧م
٣٨- **لسان العرب**، ابن منظور، تحقيق: عبد الله علي أكبر، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، ط١، دار المعارف، د ت.
٣٩- **اللسانيات الوظيفية**، أحمد المتوكل، ط٢، دار الكتاب الجديد، بيروت، ٢٠١٠م.
٤٠- **لغة الشعر الجزائري المعاصر مقاربة تداولية من ٢٠٠٠الى ٢٠٠١، لريك حورية**، دكتوراه، سنة ٢٠١٥، ، كلية الآداب واللغات والفنون، الجهورية الجزائرية
٤١- **المباحث التداولية عند الدكتور محمود أحمد نحلة**، عبد الرسول سلمان إبراهيم، وعبير خزعل خلف عبير، مجلة ديالى، العدد/٧٠، ٢٠١٦م
٤٢- **مبادئ التداولية**، جيو فري ليتش، ، ترجمة: عبد القادر قيني، المغرب، ٢٠١٣م.
٤٣- **المحاضرة بعنوان ترجمة المصطلحات اللغوية**، يوسف وسطاني، كلية الآداب واللغات، ٢٠٢٠م
٤٤- **المجمع الموحد لمصطلحات اللسانيات**، مصطفى علفان، مجلة السان العربي، عدد، ٤٦، ١٩٩٨م.
٤٥- **مدخل الى اللسانيات**، محمد يونس، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، ط١، بيروت-
٤٦- **مذاهب فلسفية وقاموس المصطلحات**، محمد جواد مغنية، دار الكتب، بيروت، دط، دت.
٤٧- **المرجعية اللغوية في النظريّة التداوليّة**، عبد الحليم بن عيسى، عدد، ١ الجزائر، ٢٠٠٨م ٤٨- **المصطلح الأسلوبي العربي في ترجماته العربية دراسة وصفية نقدية من خلال كتابي الأسلوب والأسلوبية لبيارجيرو**، عبد المجيد، ٢٠١٠ م.
٤٩- **المصطلح النقدي**، عبد السلام المسدي، مؤسسة عبد الكريم بن عبدال للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٤م.
٥٠- **معجم علم اللغة النظري**، محمد علي الخولي، مكتبة لبنان، طبعة جديدة، بيروت، ٢٠٠٩م

٥١- **معجم مقاييس اللغة**، ابن فارس، أحمد بن زكريا القزويني الرازي، اعتنى به: محمد عوض مرعب، فاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

٥٢- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، ط٢، تركيا، ١٩٨٩م.

٥٣- **المقاربة التداولية**، فرانسواز، أرمينكو، ترجمة: د. سعيد علّوش، مركز النماء القومي، الرباط، ١٩٨٦م.

٥٤- **مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب**، محمد يونس، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م

٥٥- **المنطق البراغماتي عند بيرس، مؤسس الحركة البراغماتية**، حامد خليل، دار الينابيع، مصر، ١٩٩٦م.

٥٦- نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين، طالب هاشم الطباطبائيّ، الكويت، منشورات جامعة الكويت، ١٩٩٤م

٥٧- **النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، أحمد فهد صالح شاهين**، عالم الكتب الحديثة، ط١، الأردن، ٢٠١٥م).